



مدى

من زمن التوهج



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

مخزي لريم

العدد (5509) السنة الحادية والعشرون -

الخميس (14) أيلول 2023

ياس خضر

صوت الأرض

ياس خضر: اقرأ القرآن وكنت أقلد القارئ عبد الباسط عبد الصمد

حوار - جمال الشرقي



كالناري الحزين وبتلك النبرة الخاصة يمكن للمستمع أن يميز صوته وهو يغني من خلال إذاعة بغداد أو تلفزيون العراق وجميع المحطات الفضائية... النبرة الفراتية والأداء المتميز الخاص به يؤكد لكل سامع أنه الفنان المطرب العراقي الكبير ياس خضر، ولعل صوته وطريقة أدائه ونبرته جعلته ذا خط غنائي خاص مما أعجب الكثير من الفنانين لأداء صوته وبعض أغانيه... أنه صوت الغناء العراقي المميز والأداء المتميز حتى لكان المستمع إن كان في العراق أو في دول الخليج ربما يكتفي بسماع ياس خضر وكثيراً ما أكد لي بعض المطربين العراقيين الذين شاركوا في حفلات أقيمت في بعض دول الخليج أن المستمع العربي يكتفي بحضور ياس خضر في القاعة ويغادرها عند الاستماع إلى ياس مما كان يثير غضب بعض الفنانين فيطلبون من إدارة الحفلات أن يقدموا أغانيهم قبل ياس خضر لكي يستمتع إليهم جمهور الحاضرين ياس. (أبو مازن) يكاد يغادر الشاشة الصغيرة هذه الأيام ربما لأسباب تتعلق بقنوات التلفزيون أو لأنه صار كبير السن، ومع كل هذا فإن ياس خضر يركز على أن الأغنية الريفيّة العراقية هي نبع الأغاني وهي اللون المحبب لذائقة المستمعين باعتبار أن الأطوار من الابوذيّات هي النبع الأصيل للعراق وتراثه الكبير... ولا ندري كيف وافق أهل ياس خضر أن يكون مطرباً فهو النجفي وهو السيد من آل القزويني وبدأ حياته مقرأً للقرآن في التكايا والمناسبات الدينية التي كانت تقام في النجف الاشراف فلندخل عالم ياس خضر ونتعرف على بداياته وصولاً إلى ما عليه اليوم.

كيف بدأت حياتك الفنية؟

- ولدت عام 1928 في منطقة البراق بالنجف الاشراف في بيت تراثي نجفي قريب من صحن الإمام علي عليه السلام وكانت عائلتنا كبيرة يصل عددها إلى العشرين أو أقل بقليل وكانت أياماً جميلة ورائعة إذ كنا نسكن لأكثر من عائلة في بيت واحد كبير اراهم صباحاً مجتمعين على الفطور وكل أب يجمع عائلته في ذلك البيت القديم.

- وهل كنت تغني في حينها؟

- ابد كنت اقرأ القرآن وكنت أقلد عبد الباسط وفي يوم من الأيام كنت اقرأ القرآن في مسجد الهندي وكانت المناسبة مؤتمراً إسلامياً وكان عمري لا يتجاوز السابعة عشرة وقد أعجب بي السامعون -لو سألتك عن بداياتك مع الفن خاصة ونحن نتذكر أغنية الهدل التي صارت في حينها مثلاً يتحدث به الناس؟

نعم كانت بدايتي في الأغاني الريفيّة وكانت بدايات اعتبرها بسيطة رغم أنها نالت شهرة كبيرة لوجود بعض الكلمات الغريبة التي لم تستعمل في حينها مثل كلمة الهدل بدأت بالأغاني الشعبية الهدل وأشياء ريفية، واستمرت بدايتي أغني الأغاني الشعبية الريفيّة إلى أن وصلت المرحلة الفنية بين الفن الريفي والفن الحديث، بالإضافة لي لوني الخاص بالغناء ولكنني كنت أتميز بأنني لم أقلد احداً من المطربين الريفيين. هل كانت بداياتك عفوية تقليدية ام حاولت ان

تدخل المنهجية في الغناء؟
- في البداية كنت استمع إلى مطربي الريف حينها مثل داخل حسن وحضيري ثم أخذت استمع إلى ناظم الغزالي وبعدها تتلمذت على يد المرحوم الموسيقار الكبير جميل بشير
- طابع الحزن كبير وواضح على أغانيك؟
- نعم الأغنية الريفيّة والغناء العراقي الأصيل كله حزين ومستمعنا تراه يتقبل الأغنية الحزينة أكثر من غيرها اعتقد هي سمة عراقية بحتة ولكنني حاولت ان اغني اغاني فرح كثيرة.
- لك علاقة صداقة ومهنة فنية مع المرحوم طالب القرغولي فهل حصل بينكما زعل او شيء من هذا القبيل عبر تلك المرحلة وهو ملحنك الأكثر؟
- المرحوم القرغولي صديقي وأخي ولكن حصل شيئاً بيننا خارج عن إرادتي فعندما كان الفنان طالب القرغولي مريضاً وسافر إلى مدينة السويد كان حادث مرضه صدفة، وكنت مريضاً في سوريا وعامل عملية... فاننا لم أكن موجوداً هناك ولم يوجد رقمه أو عنوانه حاولت بكل الطرق ولم اتمكن من الوصول إليه فعتب على كوني لم أسأل عنه او اتصل به.
- قيل إن لك حادث معين تتذكره كلما غنيت إعزاز ما هو؟
- إعزاز أغنية اعشقها وأحبها وأؤديها دائماً بكل

جوارحي والحادث هو إنني كنت اغني في نادي الصيد مرة وعند صعودي المسرح حدث شيء لم اعرفه إلا بعد إن أديت الأغنية ويبدو ان المسؤولين عن الحفلة أخفوه عني لكي أقدم وصلتي المطلوبة ولكنني بعد أن أدت الأغنية ورجعت إلى مكاني خارج المسرح عرفت أن والدتي توفيت الآن ولهذا فان هذه الأغنية تذكرني بحدث اليوم.
- متى تعتبر نفسك انتقلت من الغناء الريفي إلى الغناء الحديث؟
- عندما غنيت المكسر حيث كانت ثقلة غريبة وهي الأغنية التي أعجبت الجمهور وهي أكثر الأغاني تطلب مني في الحفلات وفيها قصة إذ أنها تمثل منطقة بالناصرية أي الآثار وفيها يمر القطار. ولهذا كنت أنادي الرييل أي القطار (ولك يا ريل لا تكعّر أخاف تفرّز السمرة. مشى يجر فراكينه وما مش حيل أردنه.. واعد محاط للبصرة. جزء ونام وهدل شعرة. ولك يا ريل لا تكعّر أخاف تفرّز السمرة واراد للناصرية اردود مخنوك بالف عبره يراوي النهر موكاف حبنه وطيبة العشر يكلي اصبر شهر ويعود والمفطوم شيصبره.
- وماذا عن الرييل وحمد هل لها عندك قصة؟
- لها قصة عند مظفر النواب وقيل ان لها واقع سياسي وانما أراها أغنية عاطفية (مرينه بيكم حمد واحنه بقطار الليل واسمعنه دك كهوه

وشميينه ريحة هيل يا ريل صيخ بقهر. صيحة عشك يا ريل هودر هوامه ولكج در السنابل كطه).
- صوتك على أي طبقه تعتبره؟
- على الصول لأنه قرار مستقر ويعطيك فرصة للجواب بشكل رائع.

- و البنفسج هل لها علاقة بالصول؟
- أبداً ليس لها علاقة بالصول وقد لحنها المرحوم طالب القرغولي وكان طالب يعرف طبقة صوتي ويعطيني أصعب الإلحان بعد أن عرف إمكانياتي الصوتية.
- قيل ان الملحن العربي الكبير بليغ حمدي لك معه لقاء؟

- نعم قال لي عندما التقينا في الكويت وكان يرغب ان يلحن لي قال ان صوتك يبرز منه كل شيء بحيث ان الملحن لا يختار باي طريقة يعمل لك اللحن.

- دور طالب القرغولي في حياة ياس خضر ما برأيك؟

- له دور كبير جداً ولكن لم ينقطع بعد أن جاءت بعده الحان أخرى من قبل نامق أديب ومحمد عبد الحسن.

- لو سألتك عن أغنية (ولو تزعل) هل لها قصة؟
- نعم أتذكر في حينها جاني المطرب قحطان العطار وكان مقيماً معنا في حينها بالكويت وقال لي ان الملحن نامق اديب طلب مني اداء اغنية ولو تزعل ولما سمعتها بصوته اعتذرت لأنها لا تمثل صوتي فقلت له نعم لا تلائم صوتك ولكن ما المطلوب مني فقال أتمنى أن تؤديها أنت وفعلاً اديتها ونجحت فيها وكانت هذه الأغنية سبب علاقتي بنامق أديب وكلماتها جميلة تقول (يا حمد مر مثل ما مرينه. وريك أصاح بقهر يديرينه والله يديرينه. بالمكير ودعينه إسرارهم إعزاز عدنه وما نسينه إخبارهم... والغنه بتالي العمر يادينه).

- كثيراً ما يتعرض بعض الفنانين إلى إشاعات خاصة بالوفاة ما رأيك؟

- هذه الحالة أنا لا اهتم لها لكن هذا بحد ذاته ليس بسيطاً هو مؤلم للصديق وللبعيد والمعجب اذا سمع خبر وفاة الفنان ياس خضر، حدثت معي حالة كنت في حفلة عيد رأس السنة والغو الحفلات وأدعوا خبر وفاة ياس وكانت كذبة أو ما نسيتها إشاعة.

- ولأن كيف تجد نفسك وقوة صوتك؟
- نعم قوة الصوت موجودة واشعر إنني استطيع أداء جميع الأغاني التابعة لي.

- هل صحيح أن مدير أعمالك كردي؟
- الأستاذ زكار رجل عربي وأمه اعتقد كردية

وهو إعلامي مخلص في عمله يقدم للمسات واللوحات الفنية وكذلك متفاهم لكل أمور الفنيه هو بحد ذاته يحب الفن الأصيل ويعتبره قمة الحاضر. وكذلك هناك شعبية كبيرة من قبل الأكراد بالإضافة إلى صوتي شبيه بصوت الجبل اقرب شيء لهم إلى المطربين الأكراد الكبار.

- أحب الأغاني إلى الفنان ياس خضر؟

- كلها أحبها ولكن أغنية يا حسافة اشعر بها اقرب الى نفسي وكل أغنية لي فيها قصة وكل مرحلة ابني عليها على أساس قصة معينة.

- هل تود أن تقول شيئاً قبل الختام؟

- شكري الخاص إلى جميع كادر جريدة الزوراء الغراء على هذه المبادرة الجميلة وأمل للعراق وشعبه الخير والسلام.

× عن صحيفة الزوراء

عن إلياس خضر وثلاثية الجنوب

شعلا العجيلي



بأسوأ أنواع السكر، الذي كان الحصول على ربع كيلو منه يعد معجزة. لا تهم التسجيلات السيئة، التي لا تعرف إن كانت بسبب الأجهزة القديمة، أم بسبب الأشرطة المنسوخة عن بعضها بعضاً، فنحن نسمعها بذاكرتنا اليومية، وليس من الشريط المغناطيسي الملفوف على بكرتين صغيرتين. كان العراق نصف جذورنا المحرمة، وكان صوت إلياس خضر الدليل الوحيد الحي على وجوده، بعد كتب التاريخ. ولعل ذلك زمن مضى بقضه وقضيضه، إذ بعده فتحت أبواب سوريا لعراقيي الألفية الجديدة، بعد الغزو الأمريكي.

أعاد إلياس خضر عبر أغانيه إنتاج صورة العاشق بصيغة رومانسية تناسب مرحلة الهزائم العربية على المستوى الجمعي، لكنها لا تنفي تماماً الإرث الكلاسيكي للعشق في الثقافة العربية، التي أرساها الشعر منذ نمانجه الجاهلية، فالعاشق كريم، ونبي، وطيب العشرة رغم مرارة الحب، ورغم تدلل الحبيب، والفرق بعد الحب لا يتبعه منة أو أذى، هناك فقط الرغبة في تذكر اللحظات التي سرقت خلسة من الزمان، وإن حدث وعاد، فمرحب به في أي لحظة، وذلك لا يتناقض أبداً مع عزّة النفس والتخلي في سبيل الحفاظ على الكرامة. سألت ابنة عمي مرة، وكنت صغيرة في العاشرة، وكانت شابة في العشرينيات، تستمع إلى إلياس خضر خلال وقتها الذي تقضي جله في المطبخ، وهي تطل كل حين من نافذتها لتتأمل جريان الفرات أمام البيت: لماذا أغاني إلياس معظمها بصيغة الجمع: مجروحين، تايبين، مسافرين؟ لماذا تحبين إلياس خضر، قالت لي: انتظري كم سنة، وستفهمين وحدك! ويبدو أنني فهمت، في الوقت المناسب، تلك الشعرية الخاصة التي شكلت جزءاً من المنظومة الثقافية المتعلقة بالعلاقات بين البشر وسلطة المتعاليات، وهيات المتلقي لتمثل بلاغة الصورة، لتصير الأغنية جزءاً من الشخصية، ودليلاً مثل الحكم والأمثال. قدم إلياس خضر أغاني المطربين الذين اشتهروا قبله، مثل سعدي الحلبي وسعدي البياتي، ومنها: عاين يا دكتور، وعليمين يا قلب تعبت عليمن، لكنه شكّل مع مظفر النواب وطالب القرغولي ثلاثياً فذاً، وضع نصب عينيه طريق الجنوب، حيث الناصرية معقل الحراك اليساري، التي جاء منها كل من إلياس والقره غولي، وتمثلها مظفر في شعره لغة، ورمزاً وجغرافياً.

قدم إلياس خضر أغاني المطربين الذين اشتهروا قبله، مثل سعدي الحلبي وسعدي البياتي، ومنها: عاين يا دكتور، وعليمين يا قلب تعبت عليمن، لكنه شكّل مع مظفر النواب وطالب القرغولي ثلاثياً فذاً، وضع نصب عينيه طريق الجنوب، حيث الناصرية معقل الحراك اليساري، التي جاء منها كل من إلياس والقره غولي، وتمثلها مظفر في شعره لغة، ورمزاً وجغرافياً. الأغنية العاطفية ذات المحمولات السياسية، التي استعملت المورفولوجيا الشعبية لخطاب حيوي وقريب من الناس: الرمز الشعبي، وجماليات الثقافة غير العالمية، والحدث التاريخي، والعديد من الأقتعة الفنية للالتفاف على التابو في مرحلة حساسة جداً من تاريخ القمع العربي، واستهدافه اليسار، الذي كان شعراؤه ينتقدون الظروف الاجتماعية والاقتصادية القاسية للجماهير، إذ تجبرهم على العيش في إطار تقاليد بائدة، تزيد من حالة الحرمان، وينددون بالطبقية التي تحولت من أشكالها الاجتماعية القديمة إلى أوليغارشية مركزها الحاكم، في بلاد يفترض أن تكون جمهوريات. انتقلت تلك الأغاني من

أغلقت الحدود بين سوريا والعراق بشكل كامل منذ عام ١٩٨٢، على خلفية انقسام حزب البعث الذي بدأت خلافاته منذ الستينيات. كان على العراق حينها أن يمنح من العالم بالنسبة للسوريين، لا كتب، ولا مجلات، ولا مكالمات تلفونية، ولا علاقات عشائرية أو أسرية، ولم يكن في إمكان الطير الطائر أن يلقي من الشرق.

وحده صوت إلياس خضر كان ينساب بعفوية نحو الجزيرة السورية من كل آلة تسجيل، ومن غير مواجهات مع السلطة، كأنه سمك الشبوط الذي سبج في الفرات عكس التيار. ستجد الكاسيت في كل بيت أو سيارة، ذلك الكاسيت المكسور في طرفه، ومقشور الورق في واجهته، لكنه يركب على المسجل بطريقة عجيبة، فتنتقل أغاني إلياس خضر فيه حية، وعذبة، تمر فوق النجوم على أكتاف الجنرات لتصل إلى البشر المتعبين في الحقول والأسواق ومواقع الإنشاءات، وللمستقلين مساءً تحت الشوادر على ضفتي النهر، يشوون السمك، ويرتجون نهاراً أفضل. ليس هذا فحسب، بل ستجد بوسترات المطرب على أبواب محلات التسجيلات، ببدلة زيتية اللون على خلفية فستقية، وستجد صوراً أخرى في فيترينات ستويوهات التصوير مؤطرة ببرواز من الخشب الذهبي، وسيوهمك صاحب الاستديو بأنه التقط صورة لإلياس خضر بكاميرته، مرتدياً الثوب العربي، ووقه جاكيت إفرنجي كما يفعل الناس عندنا، وعلى رأسه العقال المائل فوق (الجمدانة) الحمراء أو (المحرمة) البيضاء.

لم تكن تعرف أن لقب إلياس خضر هو (صوت الأرض) ولا أن كنيته (أبو مازن) هذا عرفته مؤخراً، كنا نعرفه فقط إلياس خضر (بتجاهل الهمزة) أو بالياس من غير إضافات، وكنت تجد على البلور الخلفي لوسائل النقل من الشاحنات الكبيرة والسوزوكيات الصغيرة، إلى البيك أبات الخاصة صورة لأي منظر، أو لأي فتاة إعلانات تحتها عبارة (عزان والله عزان) أو رسماً لعين تنزل منها دموعاً وتحتها عبارة (مسافرين وعيني مشدودة لدرېكم). بالنسبة للأطفال الصغار فأغانيه تتعلم بحكم العادة، ويصير صوته مألوفاً، وتدخل صورته اللغوية في معاجمهم الدلالية، فهم إن لم يسمعوها في البيت، فلا بد من عند الجيران، أو في الدكاكين حول المدرسة، أو في شارع المنصور أو شارع الوادي أو القوتلي، وعند الساعة وسط المدينة، وعلى عربات سنديويش الكبدة. سيتهج صوته مجروحاً، في ليالي الصيف على سطوح الدور المتلاصقة، ليصيب كل قلب معنى، وفي أمسيات الشتاء يتجمع السمار حول المدفأة مع مؤونتهم من بزر (عين الشمس) وإبريق الشاي المحلى

لعل الحقول الدلالية التي تنتمي المفردات إليها تتناقض مع الدلالات السياسية، لكن السياق الثقافي الذي أنتجت فيه الأغنية بنصها ولحنها يبسر التأويل، ويكشف عن قدرة الفن على القفز على المحظورات بهوادة، بلا ادعاء ولا صراخ: يا طعم، يا ليلة من ليل البنفسج/ يا حلم يا مامش بمامش/ كأنني ثيابي عليّ غربة قبل جيتك/ ومستأحش من عيونني/ وأمتني وعلى المامش علمتني/ شلون أوضفك وانت كهرب/ وانا قمره عيني، دمعة ليل ظلمة/ شلون أوضفك وانت دقتر/ واتي كلمة!

زار إلياس خضر الرقة بعد الغزو الأمريكي، واستضافه الأهالي في الدور والمضافات، حيث أقيمت حفلات السمر رفقة عازقين ومطربين محليين، لا في المطاعم أو المسارح، وحضرها النساء والرجال والأطفال، وغنوا معه، وذكره إن نسي، وأدهشوه بمحبتهم، وعشقهم للفن، وحفظهم لأغانيه، وللمقامات والشعر والتراث من الميامر إلى الأبوزيات، وظل صوته يصدح في ليالينا رغم الجراح التي اكتشفنا بعدها أنها أعمق من أن تتدمل.

عن القدس العربي

وراء الجدران مثل الأوكسجين، مستعصية على التأويل الحاسم، كما حصل مع نصوص شعراء المتصوفة. لا شك في أن أغنية (الريل وحمد) ذاعت شهرتها في تلك الرحلة التي تقتنص لحظة الوقوف على الطلل في قرية أم الشامات: "يا بو محابس شذر، يالشاد خزّامات/ يا ريل بالله بغنج/ من تجزي بام شامات/ ولا تمشي مشية هجر/ قلبي بعد ما مات" لكن ثمة أغنيات أخرى تتفوق عليها على المستوى الدلالي مثل (حن وانا حن) أو (ليل البنفسج) التي ظهرت في السبعينيات، لتمثل في موتيف لغوي صغير قوة الجذور وكرمها وعطفها، وهو عبارة (مامش بمامش) التي تحمل معنى العدم على الدلالة الصفورية، لكنه العدم الذي ينتج الوجود. على الرغم من بعد النص من شعرية المركز لغة وتعبيراً، أصر إلياس خضر على غنائه بلحن القره غولي على مقام النهاوند، لينقله إلى بعد أعمق، فتشبع الأغنية في كل مكان مثل ترانيم عشّار وأناشيد هوميرس. منعت الأغنية من البث في العراق لثلاثين عاماً، وقد قيل في ذلك المنع إنه بسبب مقهى (ليل البنفسج) الذي يتجمع فيه الشيوعيون في الناصرية.

ياس خضر صوت عراقي لا يعبأ بوهن السنين

كرم نعمة



وقف الموسيقار العراقي الراحل وديع خوند متسائلاً بدهشة لا يمكن أن تصدر من فنان بمعرفته المتقدمة لعلوم الغناء، وهو يسأل الفنان طالب القره غولي بعد أن صاغ لحن قصيدتين للشاعر مظفر النواب: كيف تسنى لك تلحين هذا الكلام الموعّل في صعوبته الشعرية؟

كان خوند محققاً في استغرابه، فقصيدتا "روحي" و"حن وأنا حن" أصعب على القارئ في إحياءهما الشعرية، فكيف للملحن أن يعبر عن روح الكلمات وليس أليتها في جمل موسيقية. تلك كانت الثقة التعبيرية في ألحان القره غولي لصوت ياس خضر، كان يصنع مطولات غنائية بروحية عراقية عميقة، ويوظف نصوصاً شعرية صعبة للشاعرين زامل سعيد فتاح ومظفر النواب، لأنه يدرك في النهاية أن قوة وتعبيرية صوت ياس خضر لا تجعله يتحفظ في المجازفة بالجمل الموسيقية.

لا تزال الأغنيان مع عدد آخر من ألحان القره غولي ماثلة في الوجدان العراقي والعربي معاً، وعندما يطلب الجمهور الخليجي اليوم من خضر أداء تلك الأغاني يعبر عن استغرابه، لأن من يطلبها ولد بعدها بسنوات طويلة.

حجرة لا تشيخ

ياس خضر وهو يقترب من منتصف عقده الثماني، ما زال صوته أقوى من فرضية العمر نفسها. لم يصب بالوهن أو الارتخاء وكأنه بقي مشدوداً لنحجرته في العشرين.

يكاد يكون هذا الفنان الذي لم تتوقف القنوات الفضائية العربية عن الاحتفاء به، مع أنه جزء من جيل سببيني غنائي عراقي أصيب بالخيبة بعد أن لاقى الجحود والإهمال. فبعد رحيل فؤاد سالم، انزوى حسين نعمة منذ أن فشل في تقدير قيمة صوته الثمينة. ورفض فاضل عواد الاستمرار، بينما يصارع سعدون جابر الزمن في إخلاصه للغناء وحده.

لا توجد فترات قطعية في تجربة ياس خضر مع الغناء، ويمكن أن نعزو ذلك إلى قوة صوته التي لم تتأثر بالزمن، عندما مثل تجربة غنائية عراقية معبرة عن أجيال لحنية من الخمسينات والستينات حتى السبعينات من القرن الماضي، ومع ذلك لم يتردد في التعامل مع ملحنين جدد، ونجح في ألحان جيل الثمانينات كما مثلت أغنياته للملحنين كريم هميم وسرور ماجد ومن بعد ماجد الحميد.

ويبدو اليوم تناول تجربة ياس خضر الثماني الذي تطارده إشاعات الصحة والمرض، بينما هو يرد عليها بالغناء المستمر، مناسبة للتعريف النقدي بهذا الصوت الموعّل في عراقيته. وأرى أنه لو تسنى له أكثر مما يمتلكه اليوم من المعرفة الموسيقية، لكان له شأن آخر، ذلك ما عبر عنه الناقد الموسيقي الراحل سعاد الهرمزي، عندما نقل عنه الزميل عبد السمیع السامرائي في كتابه "ياس خضر: صوت الأرض" معبراً عن حبه لصوته، ليس بالقياسات التي يتصورها كمطرب، عاداً إياه بالصوت المشحون بالحن والالتياح الذي يكفي عشرين مطرباً.

ويرى الهرمزي في واحد من أهم الآراء النقدية في صوت ياس خضر، أنه لو تخلص من تلك الشحنة الزائدة في صوته لاستقام أمره وأصبح

سواً من غيرها.

ويضيف "الجدير به أن يتخلص من شحنة الحزن وعند ذلك ينطبق صوته على القياسات التي تضعها علوم الغناء". لكن ماذا يفعل ياس خضر فهو وإن غنى مبتهجا يبقى صوته مشدوداً إلى نبرته الحزينة.

لم يدرس ياس خضر الموسيقى، لكنه كان معبراً باهراً في أدائه، جعله الجوهرة الأثمن في قلادة الغناء العراقي، وذلك وفق الهرمزي لا يتعلق بجودة اللحن، بل بالأداء.

ألحان خمسينية

يقف ياس خضر في مقدمة جيل سبعينات الأغنية العراقية، لكنه أيضاً نتاج معبر للملحن الحقة الخمسينية، فهو وإن لم يؤد لحناً لعميد الغناء العراقي الراحل عباس جميل، إلا أن جميل وصفه بالصوت المعبر عندما تخرج المفردة المغناة من أعماق حنجرته النادرة المغنمة بالمتعة والحن.

غير أن لحن أغنية "من علمك ترمي السهم" الذي صاغه الموسيقار الراحل رضا علي، وأغنية "أريد أعتب عليكم" للموسيقار الراحل يحيى حمدي، ثم باقة الأغاني التي وضعها الموسيقار الشهيد محمد عبد المحسن، وعدد أقل من ألحان محمد نوشي، كلها تؤكد أن ياس خضر امتداد لألحان جيل الخمسينات في الغناء العراقي، وإن أحبه العراقيون وعرفه الجمهور العربي بالحن العقد السبعيني.

لا تغيب ألحان الفنان محمد عبد المحسن عن ذاكرة الولد العراقي، فقصيدة "خلصت صدك" التي كتبها الشاعر الراحل لبيبة عباس عمار، و"يا حسافة" التي كتبها هشام عبد الحميد و"بوريتك" للشاعر ناظم السماوي، و"صبيوني" للشاعر الراحل غازي نجيل، تؤكد ارتباط صوت خضر بهذا الجيل الذي يعد المؤسس التعبيري للأغنية العراقية، وهذا أيضاً يفسر لنا قدرة صوت هذا الفنان العراقي في أداء ألحان أبناء أجيال تفصلهم عقود عن جيل الخمسينات. ومن يعود إلى لحن الفنان سرور ماجد "شكراً يا عمر" التي كتبها حاتم النعماني والتي أداها ياس خضر قبل سنوات قليلة وقبلها أغنية "يا حمد" التي صاغ نصها ببراعة شعرية ماجد عودة موظفاً بذلك تعبيرية تاريخ أغاني ياس خضر، ولحنها الفنان الشاب ماجد الحميد، يكشف القدرة الأدائية للفنان ياس خضر للانتقال بين أجيال من الملحنين العراقيين، مع اختلاف الذائقة وطبيعة الألحان.

من المفيد لدارس الغناء العراقي المرور على تجربة الملحنين مع صوت ياس خضر، ليس لأن هذه التجربة تمتد على خمسة عقود فحسب، بل لأنها تكشف مسار الأغنية العراقية، ومن المؤسف أن لا يتعلم من هذا المسار الجيل الجديد الذي حول الغناء إلى مجرد مرث طائفية تقتل فيها الموسيقى التي تهيم بها الأرواح وتؤرخ لأمال وأوجاع الناس.

يكاد الموسيقار الراحل محمد جواد أموري يكون من بين أوائل الذين لحنوا لياس خضر بعد احترافه الغناء، ومع أنه قدم له حزمة مهمة من الألحان، مثل "أبورزكة" التي أعادت أداءها الفنانة سميرة توفيق ووصلت إلى الجمهور العربي منذ ستينات القرن الماضي، و"صحينا من الهوى" و"شط الفرات" و"الدنيا ما تسوي زعل"، إلا أن قصيدة النواب "الريل وحمد" بقيت الوشيحة التعبيرية لألحان أموري لصوت خضر، مع أنه لحن له أغنية أخرى لا تقل تعبيرية وتساؤلًا عندما صاغ مناجاة الشاعر ناظم السماوي لحبيبته "لا تسافر"، ومن حسن حظ المستمع العودة إلى السيد العظيم يوتوب الذي وفر لنا تلك الأغاني، كلما استبد بنا الحزن، بينما تهشم الذائقة السمعية بغناء لا غناء فيه.

مثلت تجربة الملحن الراحل كمال السيد علامة فارقة في صوت ياس خضر في واحدة من أشهر الأغاني "المكير" التي كتب كلماتها زامل سعيد فتاح، وكانت بمثابة القصة الغنائية التي تربط وله العشاق بالقطارات والسفر، وهي تستوحي عنوانها من اسم محطة قطار في مدينة الناصرية، ووداع المحبين المغادرين ما بين جنوب البلاد وعاصمتها. كانت تلك الأغنية بمثابة المعبر عن شغف الترقب في قصة غنائية يوثقها وداع الحبيب وصوت القطار ودموع العشاق وفراغ الطريق.

الثقة التعبيرية لطالب القره غولي بصوت ياس خضر أنتجت مطولات غنائية بروحية عراقية عميقة، بخصوص شعرية صعبة لزامل سعيد فتاح ومظفر النواب

استمرت نصوص زامل سعيد فتاح في صناعة تاريخ غنائي عراقي في صوت ياس خضر لكن بألحان القره غولي هذه المرة، فأغنية "أعزاز" كانت الانتقال العربية لياس خضر، عندما عرفها الجمهور ما بين مشرق ومغرب الوطن العربي، كانت تبثها الإذاعات السورية واللبنانية والليبية والتونسية وتشد الأسماع إليها، بينما

عبر الفنان اللبناني عبد المجيد مجذوب عن ولع قل نظيره بهذه الأغنية وبقي يرددتها كلما تذكر العراق. وإذا كان الخليجيون يعرفون ياس خضر بأغنية "أعزاز" وأحبوه في ما بعد بأغنية "يا حمد" فإنهم مستمرون في التفاعل مع تاريخ هذا الصوت، ذلك ما يكشف لنا الاحتفاء الخليجي المستمر بالفنان ياس خضر.

شكل القره غولي مع صوت خضر ثنائية غنائية عراقية، فما كان يذكر أحدهما إلا وذكر الآخر، فبعد "أعزاز" اختار أصعب قصائد النواب مثل "ليل البنفسج" و"روحي" و"حن وأنا حن"، بينما مثلت قصائد زامل سعيد فتاح "كذاب"، "هوى الحلوين" و"يا ليل" آخر ما كتبه الشاعر الذي غادرنا في رحيل مبكر.

أما تجربة الملحن ياسين الراوي مع ياس خضر فتكاد تختصرها واحدة من أروع الأغاني التي بقيت ماثلة في المهج، عندما جعل سفر الحبيب تلويحة وداع وضياح بصياغة لحنية معبرة لقصيدة الشاعر غازي نجيل "مسافرين" للصوت الملتاع عن أسى الوداع.

تكاد تكون هذه الأغنية التي يتم عادة مقارنتها بلحن أغنية "لا تسافر" لمحمد جواد أموري، من دون أن ينحاز العاشق لأي منهما على حساب الأخرى، أكثر الأغاني العراقية التي عبرت بعمق عن وجع السفر.

يبقى الموسيقار فاروق هلال مثله مثل محمد نوشي اللذان اقتصر تعاونهما مع ياس خضر بأغنية واحدة لكل منهما "كالولي" و"كبرنا"، بينما شكلت ألحان الموسيقار عبد الحسين السماوي مرحلة موزاية في تجربة ياس خضر، وكانت مختلفة كلياً عن طبيعة ألحان أموري والقره غولي، مثل أغنية "على مهلك" التي تكشف لنا قدرة صوت ياس خضر في الانتقال بين الأطوار الغنائية.

أما الملحن تامق أديب وهو من جيل لاحق للملحن المرحلة السبعينية، فقد جسد في واحدة من أكثر الأغاني تعبيرية بصوت ياس خضر، فأغنية "تايبين" التي كتبها داود الغنام ما تزال ماثلة في الذاكرة وكانت موضع احتفاء من الجمهور الخليجي لأن ملحنها كان يقيم آنذاك في مدينة الكويت، فاستثمر نجاح دلالة مفردة "تايبين" في أغاني أخرى مثل "مجروحين" و"راحين" لكنها بقيت هامشياً للأغنية الأولى، هنا يجب أن نذكر أن أديب نجح في استثمار تعبيرية ياس خضر في أغنية "ولو زعل" التي كتبها داود الغنام للتذكير بمرحلة ألحان القره غولي في واحدة من الأغاني التي تعد من المطولات الموسيقية.

كان الملحن المصري الراحل سعيد البنا أقرب إلى الغناء العراقي من أي بلد آخر خلال سنوات إقامته الطويلة في الكويت، فلحن حزمة من الأغاني لصوت ياس خضر كتبها الشاعر الراحل فايق عبد الجليل، لكنها للأسف لم تحظ بنجاح بين الجمهور، مثلما حظي لحنه المعبر لصوت قحطان العطار "متى الجية".

كل ذلك يجعل ياس خضر الصوت التعبيري الذي بقي يقاوم سنين العمر، مثلما يكاد يكون من بين أقوى أصوات أبناء جيله، لذلك جسدت أغنيته "شكراً يا عمر" التي صاغ لحنها ببراعة موسيقية الفنان سرور ماجد، قصة هذا الصوت مع السنين في مناجاة شكر للعمر الذي أبقاه حتى السبعين. واليوم يجلس الفنان العراقي ياس خضر الذي ولد بمحلة البراق في مدينة النجف عام 1937، متأملاً كل تلك السنين المحملة بالأغاني وحدها، بوصفها الثقافة الأكثر تعبيرية لوجع ووله العراقيين، ليردد مرة أخرى "شكراً يا عمر".

ياس خضر.. إكمال رحيل (البنفسج)

كاظم غيلان



برحيل الفنان ياس خضر تكون اغنيته الكبيرة (البنفسج) قد اكملت وداعها الحياتي بعد رحيل شاعرها الكبير مظفر النواب قبيل عام وأكثر، سبقه ملحنها طالب القرغولي بأعوام. في صيف شامي جمعتني بالقرغولي جلسة طغي عليها مزاحنا، وكانت علاقته بياس خضر تشهد نوعاً من الجفاء فقلت له مازحاً: (لو لا طالب لهلك ياس) ويقدر ماهي مزحة إلا ان نوعاً من الحقيقة يتضمونها قولي، اذا ما أردت الكتابة عن تجربة الفنان ياس خضر، لمجرد الالتفات إلى بداياته الفنية وعلى الرغم من ما يمتلك من خامة صوتية لا تخلو من نبرة قارئ حسيني ألفت بيئته النجفية بمؤثراتها على تكونه الأول اذا ما عرفنا بأن الغناء هو نتاج بيئوي أو لا. نتذكر بدايات مشوار ياس الغنائية التي امتازت ببساطتها ك (الهدل)، ابوزرقة طلع من بين البيوت... (الخ) والتي ركنت في خانة النسيان أو الإهمال لولا عبقرية طالب القرغولي وقابليته الذكية في توظيف هذا الصوت لما انتظره من مجد لربما لم يكن متوقعا فمنحه لحنه الخالد عبر قصيدة (البنفسج) فكانت الانتقال أو الانعطاف الحادة في حياة ياس خضر الفنية وهكذا ابتدأ مشواره الأهم ليعلن عن ولادة حركة التجديد في الأغنية العراقية.

اندفع ياس بحكم لهفة النجاح لينسجم مع ألحان أخرى صنعت منه ماكان يطمح له فتوالت المنجزات اللحنية لتمنحه قفزات مضافة في نجاحاته الساحقة وشهرته الواسعة التي امتدت عربياً لتجعل منه صوتاً غنائياً ممثلاً للعراق في فعاليات الغناء العربي عبر العديد من اغنياته التي رسخت في وجداننا (روحي، المكبر، مغربين، شموع الخضر، يا حسانه، تاييبين... الخ).

ان الحقة الزمنية التي شهدت نجاحات ياس خضر اتسمت بوعي صانعي الأغنية من شعراء وملحنين، إذ كان وعياً جمالياً وثقافة أدبية وإمكانيات صوتية هي التي حققت تأسيس خطاب غنائي نفض عن الأغنية العراقية غبار رتابة التقليد والتخلص من مؤثرات الغناء المصري المهيم على الغناء العربي برمته ومنحها طابع الخصوصية والتفرد. من الواقع الحية التي لا يمكن تناسيها ما حصل في اغنية (حن وانه احن) وهي قصيدة للنواب اسمها (زرراير البراري).

بينما الحرب العراقية — الإيرانية تدور رحاها والإعلام العراقي يضع كل إمكانياته التعبوية لخدمتها وشيوع أغاني الحرب حتى في حفلات الأعراس، اختلى طالب مع ذاته ولربما حاورها فما من خلاص تجاه عتبها سوى اعتذاره الجمالي بصياغة لحن يليق بتلك الكلمات ولينحها إلى ياس خضر، إلا ان سرعان ما همس ولربما كتب وشاة المؤسسة باسم مؤلفها — النواب — الذي كان محظوراً تماماً، وتحت ضغط رسمي لا يخلو من إيحاء خطير اضطر طالب لتغيير كلماتها بواسطة صديقه الشاعر زامل سعيد فتاح إلا ان اللحن بقي كما هو.

اليوم.. والبنفسج تطوي اخر صفحات حياتها، نكون قد خسرنا فنانا احب شعبه الذي بادله بذات الحب حتى منحه (صوت الارض) كوسام محبة لم يصدر عن مؤسسة ولا نقابة. لن نقول وداعاً لكل من غرس الجمال في هندسة ذاقتنا، فالغناء زاد الشعوب وهوية الأوطان.

ياس خضر.. كبرياء الصوت

أحمد باشا

الكبرياء الذي تربت عليه أقوام "أحنا اللي طرزنا الستائر، للشبابيك اللي عبر منها الضوا". لا نجافي الحقيقة إن قلنا إن خضر ينتمي إلى عصر لا يمكن إلا أن نسميه بعصر الأغنية. عصر عراقي استطاعت فيه الأغنية، وحدها، ولعقود طويلة، أن تكون الفن الأكثر تمثيلاً للمجتمع بكل مصائبه واختلالاته.

خضر، مع أبناء جيله من نجوم الأغنية العراقية، كفؤاد سالم وحسين نعمة وفاضل عواد وآخرين، كانوا ورثة أميين لمن قبلهم من رؤاد المقام العراقي، مثل محمد القباقي، وناظم الغزالي، ويوسف عمر. في هذا المقام، يمكن القول إن خضر، على مستوى الأداء الغنائي، شكّل جسراً بين جيله ومن سبقه.

في العصر الذهبي للأغنية العراقية، حفر اسمه كواحد من أهم مرثليها. تجربته نتاج مزيج فني خاص، أوصله إلى كافة الفئات الشعبية، ليس داخل العراق فحسب، بل خارجه أيضاً، حيث استطاع طرق جميع الأبواب بصوته العذب وإحساسه العالي.

لم تعرف أغانيه لوناً مجتمعياً أو أيديولوجياً

لا يسعف الحديث عن ياس خضر (١٩٣٨) سوى الكلمات التي غناها، هو العراقي الذي كانت أغانيه تنجد مستمعها في لحظات أقل ما يمكن أن يقال عنها إنها موعلة في حزنها.

في الأونة الأخيرة، ترك غياب صاحب "مسافرين" عن الأضواء، ومرضه، باب الشائعات مفتوحاً على مصراعيه. هكذا، راحت تتكرر، بين حين وآخر، أخبار حول رحيله، ما دفعه إلى الخروج أخيراً لنفي ذلك في فيديو نُشر على يوتيوب. ولا يخفي المقطع الذي ظهر فيه أبو مازن آثار المرض عليه.

صوت خضر أثر بوعي جيل كامل عاش الانكسارات والهزائم التي لحقت ببلاد احترف سكانها البكاء على مقامات "عزاز" و"حن وأنا حن". الألم في صوته ليس ذاك الذي يتوسل التعاطف أو الشفقة. إنه الألم الشامخ؛ ألم

واحداً. كما كان صوته عبيراً للأديان والإثنيات والقوميات. أغانيه التي حفظها الشيوعيون والقوميون والنخبويون والبسطاء والمؤمنون والملحدون، تطرب، بل وتنتمي بقدر أكبر، إلى الأطراف ومهّشيها.

كان خضر، في طفولته، موجوداً للقرآن، ولم يكن يسيراً على عائلته الملتزمة تقبّل فكرة اختياره الغناء. إلا أنه استطاع تجاوز كافة العوائق بفضل صوته أولاً. بدأ كمغنٍ في الحفلات الخاصة والأعراس في بغداد.

لكن الفضل الأكبر في مسيرته يعود، بحسبه، إلى الموسيقار جميل بشير، الذي نشأ وكبير في مدرسته. وقد سجّل الأخير له أغنيتين شعبيتين ("الهدل"، و"أبو زرقة").

امتازت معظم أغاني خضر بكلماتها، على عكس كثير من المطربين العراقيين الذين لم تسعفهم الكلمات دائماً. أغانيه كتبها شعراء كبار، منذ أن اكتشف موهبته، مطلع الستينيات. بدأ مشواره مع الملحن محمد جواد أموري، ثم بدأ نجمه بالسطوع في بداية السبعينيات، حين تعاون مع عدد من أهم شعراء الأغنية العراقية.

إلا أن العودة إلى بداياته تستوجب المرور بأغنية "المكبر" (١٩٦٩)، التي أبرزت موهبته، وكان كتب كلماتها الشاعر زامل السيد فتاح، الذي كتب له في ما بعد أغان تعدّ من روائعه، مثل "عزاز" و"ياليل".

كذلك كان تعاونه الاستثنائي مع الشاعر مظفر النواب، فغنّى له قصائد تعدّ علامات فارقة في الغناء العراقي والعربي معاً، كأغنيته "ليل البنفسج"، و"روحي"، اللتين منعنا لدى صدورهما في العراق، يضاف إليهما "حن وأنا حن"، و"الريل وحمد".

وفي الحديث عن الفترة الذهبية في مسيرة خضر، يتوجب التوقف عند تعاونه مع طالب القره غولي، الذي لحن له أهم أغانيه، وساهم بعبور اسمه خارج حدود وطنه.

سبقت تجربة ياس خضر برّاً صحراوياً يختزن في داخله أغان تشيّر، بكل ما تحمله من عشق واغتراب وفرح مطعم بالأسى، إلى تاريخ كامل من القهر. ستغدو العودة إلى منجزه، بالغة الأهمية، عند مطالعة تاريخ الأغنية العراقية يوماً ما.

عن العربي الجديد

ياس خضر... لم يعد في المحطة إلا غناء المغني

أنس مراد



تجذّر صوت ياس خضر (١٩٣٨ - ٢٠٢٣) في صميم الألحان الفلكلورية والدينيّة والشعبية، فتشكّلت بها هويته، وتأسّلت في حنجرته ألسنة الحزن والعاطفة، فاشتهر وتميّز في الغناء الريفي الشعبي الذي لطالما عكس روح العراق المفعم بالشجن والبساطة، ووفّق تجارب الفلاحين اليومية ومواقفهم الحياتية وارتباطهم بالطبيعة، وهو ما يفسر انتشار أغنية "الهدل" من (ألحان محمد جواد أموري) أولى أغاني الفنان، وقبولها المباشر، فصوت ياس خضر كان قد تنقّف ببساطة الألحان الريفيّة وانسجبت، وبالقدرات والمميزات الصوتية لكل من سبقه من أساطير الغناء الشعبي، مثل حضيري أبو عزيز، وناصر حكيم، وداخل حسن، وعبادي العماري وغيرهم.

طموح خضر وإيمانه بقدراته الصوتية الهائلة، دفعاه إلى الخروج من نطاق الأغنية الشعبية ببساطة ألحانها، والانطلاق لمواكبة الأغنية الحديثة التي كانت قد بدأت تطرق الأبواب حينها، على يد جيل جديد من الشعراء والملحنين الذين سيرسمون ملامح الأغنية العراقية الجديدة فيما بعد. هكذا ارتدى خضر الزي المدني المحايد عن التصنيف الديني أو الاجتماعي، أو الموسيقي، وانطلق لمسيرته الجديدة عبر الإذاعة، متخذاً الأغنية الطربية الطويلة قالباً ومتسعاً يملكه من استثمار قدراته العريضة، وأيضاً يقربه من القوالب الموجودة في الأغنية العربية من قصائد وأدوار لم تكن من القوالب الدارجة في الموسيقى العراقية (باستثناء قصائد الغناء المقامي العراقي مع تخت الجالغي).

عرف تاريخ الموسيقى العربية ثنائيات متجانسة عدة: موسيقي مخضرم، وصوت فريد. لكن العراق لم يعرف ثنائياً شبيهاً إلا مع الموسيقي والملحن طالب القرّة غولي، والفنان ياس خضر. حقق القرّة غولي حلم خضر بتقديم الأغنية الطربية الطويلة الخالية من الحشو والجديدة على الساحة العراقية، أغنية بمقدمة طويلة، وتنوع إيقاعي وتصوير مقامي، يستفز إمكانات المطرب، بحيث يخرج من مساحة المألوف لرحابة الإبداع، فكانت روايح "البنفسج"، و"إعزاز"، و"كذاب"، و"حن وأنا حن" وغيرها. مطلع الستينيات صدر ديوان "للربيل وحمد" لمظفر النواب، وفتح أبواب المجاز وكثافة المعنى، فتلقف الشارع العراقي المولع بالشعر هذا الديوان كنعمة. حمل ياس خضر هذه القصائد بصوته، مع ألحان طالب القرّة غولي، ما زاد من خصوصية المطرب العراقي الراحل في سبعينيات القرن الماضي، فأغنية مثل "البنفسج" لم تكن لتمر مرور الكرام، لا على الشارع، ولا على قبضة الرقابة في العراق.

أربع دقائق يفتتحها القرّة غولي بحوارية خفيفة بين آلة القانون والكمناجات ومن ثم دخول مرتوم للفرقة مع توتر واضح في سرب الكمناجات، ومدخلات للأكورديون بحوارية مُتَمِّمة وتنتهي المقدمة الموسيقية، المفعمة بحنين يفسره صوت ياس خضر يغني:

يا طعم... يا ليلة من ليل البنفسج
يماش بماش وأحبك
طبع قلبي من أطباعك ذهب

تعامل الملحن مع النص بحذر، بحيث خصص لهذا المقطع الشعري النوتات الأربع الأولى



(جنس الأصل) من سلم مقام النهوند لا أكثر، مستنداً إلى إيقاع الوحدة الكبيرة، ومراهناً على قدرة صوت خضر التعبيرية وكفايته بالعتاد القليل لخوض بحر مظفر النواب. من الصعب على أي ملحن أن يعالج قصيدة افتتحها كاتبها بـ "طعم"، فالطعم هو أندر الحواس المستخدمة شعرياً في سياق نوستالجي، لكن القرّة غولي استعان عليها باستناده إلى بقاء النداء قبلها،

نهاية مقطع. ينتقل القرّة غولي إلى نروة الأغنية على إيقاع الهجّع ومقام البيات منحرفاً منه إلى الصبا، مستهلاً هذه النروة بارتجال مكتوب لألة الساكسفون يذكرنا بطريقة بليغ حمدي في التنويع الآلي. يعالج القرّة غولي خلال النروة المقطع:

"شلون أوصفك؟

و إنت كهرب

و أنه دمة عيني... دمة ليل ظلمه

شلون وصفك؟

و إنت دفتر... و أني كلمه"

تنتهي النروة بتكتيف على الصعيد المقامي حيث يدخل الملحن مقام الراست من باب الحجاز في مقام السوزناك على إيقاع الشفتاتلي: "يلي ما جاسك فكر بالليل/ ولا جاسك سهر/ يلي بين حواجبك غفوة نهر".

انفرد خضر على طول الأغنية بإبراز جماليات الغناء العراقي، من ثقل ميانات المقام الأصيل إلى حزن الأطوار، فرشاقة اللحن الشعبي، كان خليط نكهة ياس خضر الذي عبقت به موسيقى القرّة غولي و ليلة البنفسج للنواب.

اشتعل العراق بالأغنية، وانكبّت الأراء مجتهدّة في تأويل نص مظفر الذي أحياه القرّة غولي وخضر بجسد موسيقي، إلى أن اعتقلت الأغنية أخيراً.

بُني لحن البنفسج على الطريقة المصرية في علاج النصوص الطويلة، وهي توازي وتفوق الكثير من أعمال الملحن بليغ حمدي من حيث القيمة والغنى، فما الذي وقف حائلاً في وجهه أن ينال ياس خضر حظوة عبد الحليم حافظ، على الرغم من تفوقه الواضح بالقدرة والمساحة الصوتية، والأصالة، سوى النرجسية التي لا تكف عن محاولة اختصار الحدث الفني العربي بدول وثقافة محددة. وما معنى أن يقع فنان مثل ياس خضر في شرك اضطهاد القنوات التلفزيونية وشركات الإنتاج، إلا غياب المؤسسات الحامية للحقوق الفنيّة وهذا دليل واضح على وسط فاسد خال من أي قيمة.

رحل طالب القرّة غولي عام ٢٠١٣، واليوم فيما لم نخلص بعد من ترتيب فوضى غياب مظفر النواب منذ عام تقريباً، رجل ياس خضر بعد أن أعد لنا مؤونة عمر من الألفة والمواساة تخفف ثقل الليالي.

عن العربي الجديد

صوت الأرض وموال الشجن

طه جزاع



على هامش مشاركتي في الدورة ١٥ لمعرض أربيل الدولي للكتاب، وفي جلسة تلفزيونية مباشرة لحساب قناة وان نيوز كان الحوار مع الزميل عبد السميع عزاوي السامرائي يجري حول الفلسفة والصحافة وذكريات البدايات الأولى، لكنه باغتني بسؤال عن الأغنية العراقية، وعن المطربين الذين أحب الاستماع لهم، فأجبت من دون تردد: ياس خضر. لكنه أدهشني بتوافق مزاجه مع مزاجي، وقد حسبت ذلك في البداية مجاملة منه، لكنه أوضح لي بأنه ليس معجباً بهذا المطرب الكبير فحسب، بل سبق أن أنجز عنه كتاباً بعنوان "صوت الأرض".

بدأ إحساسي المبكر بصوت ياس خضر، منذ العام ١٩٧٥، عندما نهبت بنا ذات يوم وكنا طلبة في كلية الآداب، سيارة من نوع "كوستر" إلى مبنى الإذاعة والتلفزيون في الصالحية، والغرض هو مشاركة طلبة من قسمين مختلفين من أقسام الكلية في مسابقة يؤدي فيها أحد المطربين أغنية مشهورة من أغانيه، ثم يقوم بتبديل بعض كلماتها أثناء الغناء، وعلى الطلبة أن يتباروا في معرفة هذه الكلمات والكلمات الحقيقية للأغنية. بالطبع لم أعد أتذكر أسم هذا البرنامج، ولا أي من الفريقين فاز بالمسابقة، لكن صورة ذلك المطرب بوسامته وأناقته وبدلته البيضاء وهو يغني وسط أنغام الفرقة الموسيقية، بقيت حية في الذاكرة إلى يومنا هذا، فقد أصابتنا حالة من الإبهار جعلتنا ننسى المسابقة ونتماهي مع ذلك الصوت الشجي الذي غرر عميقاً في جذور نفوسنا الشابة التي كانت ترد لازمة الأغنية عند انتهاء كل مقطع. لم يكن ذلك المطرب سوى ياس خضر الذي لمع نجمه مع نهاية الستينيات من القرن الماضي، ولم تكن تلك الأغنية سوى "اعزاز" التي أصبحت أغنية العاشقين والمحبين المعذبين قبل أقل من عامين على حضورنا لذلك البرنامج، بل أصبحت أغنية الأعمار كلها بكلماتها الشجية التي كتبها زامل سعيد فتاح، ولحنها طالب القره غولي. قد يكون لهذه الذكرى التي اتاحت لنا فرصة الاستماع الحي للأغنية داخل استوديو مغلق، والحضور مع المطرب بلحمه ودمه وفرقته الموسيقية، أثر في الإعجاب المبكر بصوت وأغنيات ياس خضر "صوت الأرض"، لكنه لم يكن اعجاباً عابراً على أية حال، لأنه ما زال الصوت الذي يفجر مكامن الشجن فينا وقد اشتعل الرأس شنباً.



كتاب "صوت الأرض" يمثل جهداً توثيقياً للمؤلف تجاه المطرب الذي أحبه، فهو يعرض مسيرته ومراحل تنوعه الغنائي مع تعدد الملحنين الكبار الذين استوعبوا المديات الواسعة لحنجرتيه، ابتداءً من الأغنية الأولى "الهدل" بكلماتها ولحنها المسومعين والتي حصلت على إعجاب مستعمر لإذاعة "القوات المسلحة" وطلبتهم المتكررة لإعادة بثها، وهي التي مهدت له طريق الإذاعة والتلفزيون والنجاح والشهرة الكاسحة، ومروراً بأغانيه الشهيرة "الريل وحمد" و"اعزاز" و"يا حسافة" و"كاسولي" و"تابسين" التي تعاقب على تلحينها ملحنين كبار من وزن محمد جواد أموري وطالب القره غولي ومحمد عبد المحسن وفاروق هلال وناسق أديب وغيرهم. وفي كتابه "خمسون عاماً في الصحافة" يذكر الصحفي الرائد زيد الحلبي أنه يقف وراء وصول كاسيت هذه الأغنية إلى الإذاعة والضابط الفنان راسم الجميلي بعد عدة محاولات من المطرب لم يكتب لها النجاح منذ تسجيلها الأول بداية الستينيات، واتخذ الحلبي قراراً بإذاعة الأغنية في برنامجه "بدون عنوان" بعد أن رفضت من برنامج "أغنيات بأصوات المستمعين"، وقد تم ذلك بعد إضافة فقرة "من صاحب هذا الصوت؟"



ابتكرها الحلبي من أجل بث "الهدل" وبالتعاون مع مخرج البرنامج علي الأنصاري، لينطلق بعدها صوت الأرض مكتسحاً جيلاً من أصوات المطربين الكبار الذين تركوا بصماتهم على مسار الأغنية واللحن والترات الموسيقي العراقي، وبقيت أغنياتهم خالدة على مر الأجيال. وحول بداياته الأولى فإن مؤلف "صوت الأرض" يشير إلى "الشاعر إبراهيم الشبيخ حسون الذي كتب لياس معظم الأيونيات التي غناها في بداية حياته الفنية، وكتب له أغنية أبو زرقة التي لحنها بابداع الملحن الكبير محمد جواد أموري في عام ١٩٦٣ وظهرت في عام ١٩٦٨"، وكان المطرب قد تعرف على جميل بشير عام ١٩٦٠ الذي أعجب بصوته، وسافر إلى اليونان لإصدار أول أسطوانة تضم بعضاً من أغانيه الشجية.

مضى على تلك الذكرى مع ياس خضر وأغنية "اعزاز" ٤٨ عاماً، وطيلة اشتغالي بالصحافة لا أنكر أنني شاهدهت وجهها لوجه، وفي السنوات الأخيرة تعهد أحد أصدقائي المقربين بترتيب زيارة له في منزله، وعندما حان وقت الزيارة كنت للأسف في سفر خارج الوطن. غير أن الزمن لم يشأ أن يحرمني من لقاءه قبل يومين خلال حفل تكريم مؤسسة خطى لمجموعة من الصحفيين والفنانين والأدباء الرواد، وكان ياس خضر في مقدمتهم، وعندما تصافحنا شعرت كأنني أصافح ذلك المطرب الوسيم الأنيق الذي شاهدهت عن قرب حين كنت طالباً جامعياً في مقتبل العمر، وكان عمره يومذاك ٣٧ عاماً. ويبقى ياس خضر، صوت الأرض ورائحتها ومسكها، ويبقى الحزن الساكن فينا متيقظاً هائجاً كلما مسته همسة من ذلك الصوت الشجي.

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

فخرى ربيع

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الإلكتروني
من خلال قراءة QR Code:



www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

ياس خضر للمدى:

الأغنية العراقية جميلة لكنها فقدت بريقها ورونقها



ياس خضر من أبرز رواد الأغنية العراقية. ينتمي لجيل السبعينات والثمانينات، الجيل الذي عُرف بالأغنية الرصينة والأصيلة. ياس خضر يغني بنفس الوقت للريف والمدينة، أبدع في الحالتين وتميز في الأغاني الطويلة المشحونة بالطرب. في صوته المتميز بأداء أطوار الأبوذية تتجسد النبرات المنبرية الحسينية بحكم نشأته وبيئته وعالم أسرته التي طغت عليها المسحة الدينية، ترك والده الكثير من بصماته على صوت ولده المطرب ياس الذي أخذ عنه أطواره كالكزويني والغافلي عن السيد كاظم القابجي وعبد شاوي الحياوي.

"أخيرة المدى" حاورته باثني عشر سؤالاً وسؤال:

من أنت في جملة؟

- الفنان العراقي ياس خضر.

هل لديك موهبة لم تكتشف؟

- بالتأكيد ولكني لا اعتبرها موهبة لأن موهبتي الأساسية هي الغناء ومن خلالها وصلت لقلوب الناس. نقاط القوة والضعف لديك؟

- قوتي في ثقتي العالية بالله سبحانه وتعالى وبنفسي، وضعفي حين أرى معاناة شعبي الجريح خاصة النساء والأطفال.

هل تفكر في تقديم سيرتك الفنية في عمل درامي؟

- لا أفكر الآن بأن أقدم سيرة مشواري الفني في مسلسل تلفزيوني، ولكنها قدمت في كتاب يحمل عنوان "صوت الأرض ياس خضر".

أغنية قدمتها وقريبة لروحك؟

- أكثر من أغنية مثل "ياحسافة"، "المكير"، و"أه لو تسوة العتب جان عاتبيتك".

أغنية لها الفضل في شهرتك وعرفتك بالجمهور؟

- أكثر من أغنية عرفتني بالجمهور مثل "إعزاز" و"البنفسج" و"حن وأنة حن"، "تايبين".

حين تسافر خارج العراق بماذا تدندن؟

- أدندن "تغريبة وما درينة الدنيا ما ترحم غريب".

كيف تقيم الأغنية العراقية اليوم؟

- الأغنية العراقية جميلة لكنها فقدت بريقها ورونقها.

لن تفتقد من الملحنين الذين سبق وتعاونت معهم؟

- أفتقد أحبائي واصدقائي الملحنين "محمد جواد أموري" و"طالب القرعة غولي".

لن تطرب؟

- اطرب للرحابنة.

آخر كتاب قرأته؟

- القرآن الكريم.

روحك الداخلية تشبه ماذا من الطبيعة؟

- تشبه الماء الذي ينسكب.

ما هواياتك؟

- الفروسية ومتابعة الخيل وكذلك أحب كرة القدم

وأتابعها سواء الكرة العراقية أم العالمية

٠ نشر عام ٢٠١٦

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

